الجزء الخامس والعشرون (المجلد الثالث)

المنار

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار ١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد ١١ رجب سنة ١٣١٨ — ٤ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٠)

الحكومة الاستبدادية

« من مقالات حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني تغمده الله برحمته »

ان طول مكث الشرقيين تحت نير استبداد المستبدين الذين كان اختلاف اهوائهم الناشيء عن تضاد طبائعهم وسوء تربيتهم مع عدم وجود رادع يردعهم ومانع يمنعهم وقوة خارجية تصادمهم في سيرهم سبباً اوجب تطاول على رعاياهم وسلب حقوقهم بل اقتضى التصرف في غرائزهم وسجاياهم والتغير في فطرتهم الانسانية حتى كادوا ان لا يميزوا بين الحسن والقبيح والضار والنافع واوشكوا ان لا يعرفوا انفسهم وما انطوت عليه من القوى المقدسة والقدرة الكاملة والسلطة المطلقة على عالم الطبيعة والعقل الفعّال الذي تخضع لديه البسائط والمركبات . ويطيع امره النافذ جميع المواليد من الحيوان والنبات . وان امتداد زمن توغلهم في الحراقات التي تزيل البصيرة وتستوجب المحو التام والذهول المستغرق بل تستدعي

التنزّل الى الرتبة الحيوانية ومداومتهم من احقاب متتالية على معارضة العلوم الحقيقية التي تكشف عن حقيقة الانسان وتعلمه بواجباته وما يلزمه في معاشه وتبين له الاسباب الموجبة للخلل في الهيئة الاجتماعية وتمكنه من دفعها والسعي في اطفاء نورها بما ورثوه عن آبائهم من سفه القول وسخف الرأي والجدّ في اضمحلال كتبها وضياع آثارها واستبدالها بما اوقعهم في ظلمات لا يهتدون الى الخروج منها ابداً (١)

كل هذه الاسباب تمنع القلم عن ان يجري على قرطاس بيد شرقي في البلاد الشرقية بذكر الحكومة الجمهورية وبيان حقيقتها ومزاياها وسعادة ذويها الفائزين بها وان المتوسمين بها اعلى شأناً وارفع مكانة من سائر افراد الانسان بل هم الذين يليق بهم ان يدخلوا تحت هذا الاسم دون من عداهم فان الانسان الحقيق هو الذي لا يحكم عليه الا القانون الحق المؤسس على دعائم العدل الذي رضيه لنفسه يحدّد به حركاته وسكناته ومعاملاته مع غيره على وجه يصعد به الى اوج السعادة الحقيقية. وتصدُّه عن ان يرقم على صفحات الاوراق ما يكشف عن ماهية الحكومة المقيدة ويوضح عن فوائدها وثمراتها ويبين ان الحكومين بها قد هزتهم الفطرة الانسانية فنبهتهم للخروج من حضيض البهيمية والترقي الى اوّل درجات الكمال والقاء اوزار ما تكلفهم به الحكومة المطلقة و تطلب مشاركة اولى امرهم في آرائهم وكبح شره النهمين منهم الطالبين للاستئثار

(١) استعمل استبدل هنا بما هو الشائع عند المتأخرين عامة . والذي في القرآن العزيز ان الباء بعد استبدل وتبدل تدخل على المبدل منه لا على البدل فليتنبه له الكتاب

بالسعادة دون غيرهم . ولهذا اضربنا صفحاً عن ذكرها واردنا ان نذكر في مقالنا هذا الحكومة الاستبدادية باقسامها فنقول :

ان الحكومة الاستبدادية باعتبار عناصرها الذاتية . واقانيمها الحقيقية. التي هي عبارة عن امير أو سلطان ووزراء ومأموري ادارة وجباية تنقسم الى ثلاثة اقسام

(القسم الاول) منها الحكومة القاسية وهي التي تكون اركانها مع اتسامهم بسمة الامارة والوزارة والادارة والجباية شبيهة بقطاع الطريق فكما ان قاطع الطريق يقطع طرق السابلة ويسلبهم اموالهم ومؤنهم وثيابهم التي تقيهم الحر والبرد وسائر موادّ حياتهم ويتركهم في البوادي والقفار حفاة عراة جياعاً تقطعت بهم حبال الوسائل ولا يلاحظ ان فيهم الهرم والصغير والعاجز والضعيف الذين لا يستطيعون التخلص من المهالك ولا يقتدرون على النجاة ولا يبالي بموتهم وهلاكهم عن آخرهم ولا تأخذه في ذلك الشفقة والرحمة . كذلك هؤلاء الاركان يغتصبون ضياع رعاياهم وعقاراتهم ويستولون على مساكنهم وبساتينهم وينتزعون بالضرب والحبس والكيّ وغيرها من انواع العذاب ما بأيديهم من ثمرات اكتسابهم ويدعونهم في مخالب المصائب معرّضين للاسقام والآلام واهدافاً لسهام البلايا التي ترميهم بها عواصف الرياح الزمهريرية والسمومية ولا يخشون اضمحلالهم وابادتهم بالكلية ومحق حياتهم بالمرّة [1] بل يستبشرون بذلك كانما هم اعداؤهم ولا يشعرون انهم قواد السلطة واساسها . ومن افراد هذا القسم

(١) قيل لحاكم شرقي ان رعيتك يموتون في عمل السخرة الفلاني الذي كلفتهم به فلو رفقت بهم فقال « وهل نحن استلمناهم بالعدد فنخشى ان ينقصوا » ؟ ؟

الحكومة الانكليزية[1] والتيمورية وغيرها من حكومات التتر[2] كما تشهد بذلك التواريخ

(القسم الثاني) الحكومة الظالمة واوليآء هذه الحكومة فاعل الاخساء والمترفين الذين يستعبدون الناس خلقوا احراراً فكما انهم يكلفون عبيدهم باعمال شاقة وافعال متعبة ويجبرونهم على نقر الاحجار وخوض البحار وفلق الصخور وقلع الجبال وطيّ المفاوز وجوب البلاد في صرّة الشتآء وهجيرة الصيف ويؤلمون ابدانهم بالسياط اذا لجأوا آناماً الى الراحة التي تجذبهم الطبيعة اليها ويحجبونهم باشغالهم المستغرقة لأيام حياة هؤلآء المظلومين عن مزايا جواهر عقولهم المقدسة حيث لايجدون فرصة من دهرهم للنظر في الآفاق وفي انفسهم كي يرتقوا من الاحساس البهيمي الى عرش الادراك الانساني ويشاركوا ابنآء جنسهم في اللذائذ الروحية ويجتنوا ثمار عقولهم ليوازروهم بنتائجها من الصنائع البديعة والمخترعات الرفيعة فيسعدوا مع السعدآء. ومع ذلك يحرسون حياتهم ويحرصون على استبقائها استيفآء للخدمة منهم بتقديم قوت من ارد أما يقتات به لسدّ الرمق وثياب خشنة رثة لتحفظهم من اظفار القواصف وبراثن القواصف فلا يكون حالهم مع سادتهم الاكمال البهائم والانعام الاهلية لا يعيشون الا لغيرهم ولا يتحركون الا برضاه بل بمنزلة آلة غير شاعرة بأيدي مستعبديهم يستعملونهم كما يشاؤن

(١) يريد في الازمان الماضية ولعله قيدها بذلك في الكلمات الساقطة التي تركنا لها البياض ويدل عليه استشهاده بالتاريخ وما سيأتي في آخر القسم الثاني (٢) هنا كلمات ساقطة من الاصل

كذلك هؤلاء الولاة مع رعاياهم فان الرعايا لا يزالون يتحملون المتاعب والأوصاب ويكدون أيام سنيّهم ويسهرون لياليها مشتغلين بلا فتور بالغرس والحرث . والحصد والدرس . والندف والملج . والغزل والنسج . مهتمين بالحدادة والنجارة . والملاحة والتجارة . ساعين فى حفر الأنهر وانباع المياه وانشاء الجداول والجسور متكبدين آلام التغرب فى الحرب المبيد . والبرد المميت . كى ينالوا (اى الحكام) ارغد العيش بطيب المطعم والمشرب والملبس والمسكن . ويحوزوا الراحة والرفاهة . والحظ والسعادة . وهؤلاء الظلمة لا يفترون عن السعي في سلب ما بأيديهم جبراً وغصب ثمار مكاسبهم وفوائد متاعبهم رغماً ولا يدعون لهم مما اكتسبوه بكد يمينهم . وعرق جبينهم . سوى ما تقوم به حياتهم الدنيئة حتى تراهم بعد اقتحام هذه الاخطار وتحمل تلك المصاعب . لا يقتاتون الا بكسرات خبز رديئة ناشفة يبلونها بدموعهم المنسكبة من جور ولاتهم الفاتكين . ولا يسترون ابدانهم الا بخرق رثّة مرقّشة بدمائهم السائلة من سياط حكامهم الجائرين . ولا يسكنون الا فى الاكنّة المنخفضة والاخصاص الخسيسة كأنهم أنعام حرمتهم الطبيعة من المزايا الانسانية . ولا يشاهدون الا بوجوه مغبّرة مقشرة . وابدان مقشفة معفّرة . وتدوم عليهم هذه الحال الرديئة التي نشأوا عليها . والمعيشة الدنيئة التي اعتادوها . حتى يقتنعوا بها ولا يتعقلوا سواها . بل يتنزلون بسوء تصرف هؤلاء الولاة عما منحوه من فضيلة العقل الى رتبة البهيمية . ولا يحسّون بمعيشة أكمل مما هم فيه ولا يتألمون الا بالآلام الجسمانية .

ومن اقسام هذه الحكومة غالب حكومات الشرقيين فى الازمان

الغابرة والأوقات الحاضرة وكذلك اكثر حكومات الغربيين فى الدهور الماضية ومنها ايضاً الحكومة الانكليزية الآن فى البلاد الهندية

(لها بقية)

(المنار) ظفرنا بهذه المقالة فى صحيفة عاث فيها العثُّ (الأرضة) فذهب بكلمات قليلة منها لم تخلّ بالمعنى وان نقصت بعض الفائدة فمنها ما تركنا له بياضاً ليكتب فيه الساقط من يظفر به من القرآء ومنها ما وضعنا له كلمة يدل عليها المعنى ككلمة (صِرّة) قبل لفظ الشتآء

باب التربية والتعليم

﴿ الباب الثانى (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

من اراسم الى هيلانة فى ١١ يونيه سنة — ١٨٥

قد قطع مكتوبك ولله الحمد جميع العقبات التى كانت تحول بينه وبين الوصول الىّ وهو الآن بين يدىّ ارى فيه شعاعاً من شمس الحرية . قد اتصل بى وها أنا ذا ألاحظك بفكرى فى تنزهك على شاطئ البحر وابصر «اميل» من خلال ما تبديه من ضروب التأثر والانفعال واخالنى اعرفه .

وياه كيف اكون والداً من سنتين كاملتين ولا اتمكن من تقبيل ولدي الى الآن :

أترك هذا الاسف الذى لا جدوى له واعاود الحديث معك فيما ينبغي ان يكون اهم ما يعنينا فى هذه الدنيا فاقول : ان من اغلاط المشتغلين